كلاسيكيات مُبسطة

شيرلوك هولمز

مغامرة قدم الشيطان



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
مغامرة قدم الشيطان
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

كائنات ورموز وقضايا مثيرة



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

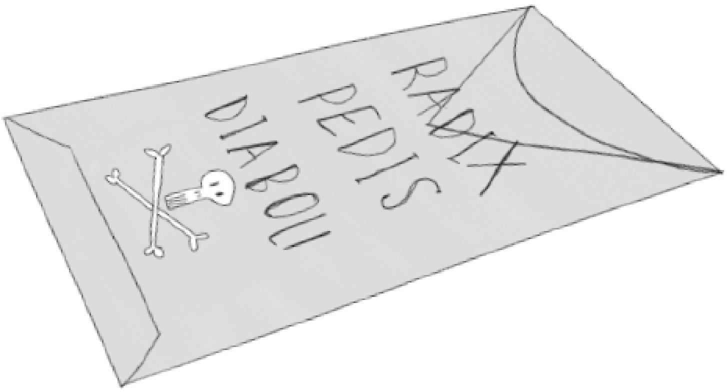
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

مغامرة قدم الشيطان

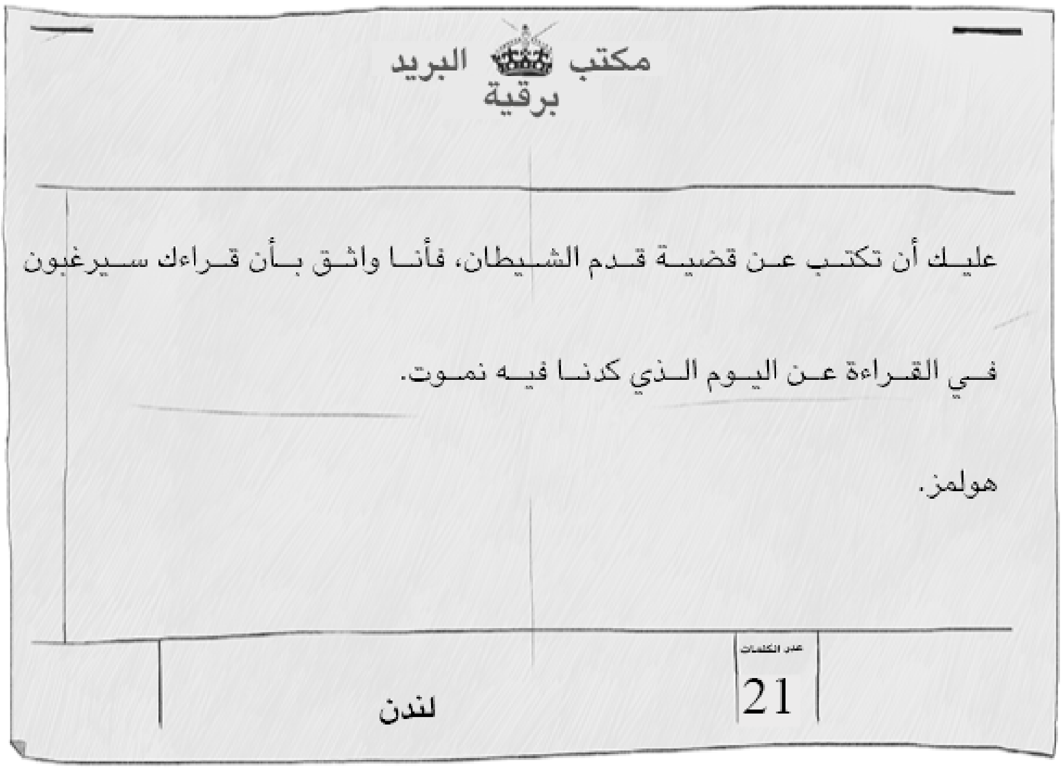


السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a Bookstore... ...ليست مجرد مكتبة

الفصل الأول

إنني لم أخطط مطلقًا للكتابة عن هذه القضية، ففي ليلة ثلاثاء باردة، وبينما كنت أستقر في جلستي أمام المدفأة استعدادًا لقراءة أحد الكتب، تلقيت برقية من هولمز.



مكتب البريد
برقية

عليك أن تكتب عن قضية قدم الشيطان، فأنا واثق بأن قراءك سيرغبون في القراءة عن اليوم الذي كدنا فيه نموت.

هولمز.

عدد الكلمات 21

لندن

وصلتنا القضية أثناء قضائنا فترة إجازة قصيرة في مدينة كورنوول، ولم يكن هولمز يرغب في إجازة، لكن طبيبه أصر على حاجة جسمه وذهنه للراحة بسبب عمله المرهق في حل الجرائم.

ظل هولمز صامتًا وبائسًا طوال الأسبوع السابق للرحلة، ولم تبدأ حالته المزاجية تتحسن إلا بعد وصولنا إلى هذه المقاطعة الساحلية.

في إحدى جولاتنا الطويلة سيرًا على الأقدام عند المنحـــدرات الساحلية قال لي هولمز في سرور: «كنت أتحدث يا واطسون منذ فترة عن حاجتي للابتعاد في إجازة؛ وإن مدينة كورنوول هي اختيار مثالي».

بادرتُ بالرد: «لا، لم تفعل، بل أنت قلت في الحقيقة...»، توقفت عن إكمال عبارتي حين رأيت ابتسامة هولمز العريضة تتسع على وجهه.

ضحك قائلًا: «حسنًا يا واطسون، أعترف بهذا، وكنت مخطئًا في رفضي للإجازة؛ فهي فكرة حسنة. لا بأس بمهاراتكم أيها الأطباء».

ابتسمتُ واستنشقتُ هواء البحر الساحلي المنعش، واستدرنا للعودة إلى كوخنا الصغير الذي استأجرناه.

كانت الأيام الثلاثة الأولى التي قضيناها ممتعة تمامًا، لكن في اليوم الرابع تغير كل شيء.

فلم نكد ننتهي من تناولنا طعام الإفطار، وفي وأثناء استـمتـاعنا بمشاهدة تلاطم الأمواج واصطدامها بالجروف الصخرية عبر نافذة الكوخ، سمعنا طَرقًا عنيفًا على الباب.

ذهبت لأفتح الباب، فوجدت رجلين واقفين سبق أن التقينا بهما بالأمس عندما ذهبنا إلى مقر أحد كبار رجال الدين لتناول الشاي معه، ويدعى راوندهاي، وبصحبته السيد مورتيمر تريجينيس، وهو مستأجر لديه.

كان السيد راوندهاي رجلًا كثير الكلام، أما السيد مورتيمر تريجينيس فهو يختلف عنه تمام الاختلاف، فقد كان شخصًا هادئًا، ويبدو على وجهه الحزن، ولا ينظر مطلقًا في عيني أحد.



تجاوزني السيد راوندهاي واندفع داخل الغرفة قائلًا: «يا سيد هولمز، لقد وقع أمر مأساوي وعجيب، ومن حسن حظنا وجودك هنا، فأنت الشخص الوحيد في إنجلترا الذي يستطيع مساعدتنا».

حدقت في وجه رجل الدين. ألا يدرك هذا الرجل أن هولمز موجود هنا لكي يستريح؟!

لكن هولمز انتصب في جلسته على الكرسي بكل انتباه، وأشار إلى الرجلين بالجلوس.

نظر السيد تريجينيس إلى السيد راوندهاي وقال: «هل أتحدث أنا، أم أنت؟».

علَّق هولمز وهو ينظر إلى السيد تريجينيس: «حسنًا، يبدو أنك أنت من اكتشف ما حدث؛ لهذا فمن الأفضل أن تتحدث أنت».

كان رداء رجل الدين يبدو غير مهندم كأنه قد ارتدى ملابسه على عجل، بينما كان الرجل الآخر مرتديًا ملابسه على نحو أنيق؛ لهذا من الواضح أن السيد تريجينيس

قد اكتشف أمرًا، ثم أسرع لإخبار رجل الدين به، والذي بدوره أسرع بارتداء ملابسه، ثم خرج مندفعًا في ذعر من منزله، كان هذا استنتاجًا بسيطًا، لكنه كان كفيلًا بأن يجعلهما يندهشان.

وفي تعجب قال السيد تريجينيس: «لماذا... نعم، كان أنا، أنا...».

قال السيد راوندهاي مقاطعًا: «ربما من الأفضل أن أقول شيئًا أولًا، لتقرر بعدها ما إذا كان يتعين عليك سماع التفاصيل من السيد مورتيمر أم الذهاب على الفور لرؤية مسرح الجريمة».

أومأ هولمز بالإيجاب لرجل الدين المتعجل.

- «أنت تعلم أن مورتيمر هو مستأجر لديَّ، وعائلته تعيش في منزل كبير بالقرب من التقاطع الحجري القديم عند المستنقع؛ لكنه يفضل أن يعيش معي. وعلى أية حال، ذهب ليلة أمس إلى منزل عائلته لكي يقضي الأمسية مع شقيقيه أوين وجورج، وشقيقته بريندا.



وغادر منزلهم بعد الساعة العاشرة بالضبط، وكانوا يلعبون لعبة الورق حول مائدة العشاء، وكانوا سعداء وبأتم صحة. وفي هذا الصباح، نهض مورتيمر مبكرًا، وخرج

لكي يتمشى قبل الإفطار، وكـان يسـيـر باتـجاه المنزل الكبير عندما لفتت انتباهه عربة الطبيب ريتشارد. قال الطبيب إنه جرى استدعاؤه لكي يذهب إلى منزل تريجينيس بصورة عاجلة، وهكذا صعد مورتيمر إلى العربة وذهب معه.

وما وجداه عندما وصلا كان مريعًا، فقد وجدا شقيقي السيد مورتيمر وشقيقته لا يزالون كما كانوا بالضبط في ليلة أمس في جلستهم حول المائدة، وكانت أوراق اللعـــب لا تزال موضوعة على المائدة أمامهم، والشموع قد احترقت حتى آخرها.

كانت بريندا مستلقية بشكل جانبي على كرسيها وقد فارقت الحياة، أما الشقيقان فكانا يجلسان على جانبيها وهما يضحكان ويصيحان ويغنيان، وقد فقدا عقليهما تمامًا! لقد اعتلت نظرة رعب على وجوه الثلاثة، نظرة رعب مطلق».

حدق هولمز في السيد راوندهاي، وشعرت أنا بقشعريرة تسري في عمودي الفقري.

الفصل الثاني

جذب رجل الدين ياقته كما لو كان يشعر بالاختناق، قبل أن يبدأ الحديث ثانية، ثم تابع قائلًا: «كان بالمنزل أيضًا السيدة بوتر، مدبرة المنزل، وقالت إنها لم تسمع أي شيء في أثناء الليل، ولم يُسرَق أي شيء أو يتحرك في غرفة الطعام، ولا يوجد تفسير لسبب شعور المرأة بكل هذا الرعب، ما أدى إلى وفاتها، وذهاب عقل الرجلين وإصابتهما بالجنون».

اختتم السيد راوندهاي كلامه قائلًا: «هذا هو الموقف يا سيد هولمز، ولعلك ترى الآن لماذا نحن في أمسِّ الحاجة إلى مساعدتك».

كنت آمل في إقناع هولمز بعدم تولي هذه القضية واستكمال إجازته، لكن نظرة واحدة على وجهه أنبأتني أنه لا سبيل لزحزحته عن القضية.

أجاب هولمز: «سوف أنظر في الأمر، وهي بالتأكيد قضية غريبة جدًّا. هل ذهبت إلى منزل تريجينيس بنفسك يا سيد راوندهاي؟».

أجاب رجل الدين: «لا يا سيد هولمز، عندما جاء مورتيمر وأخبرني بالأمر، جئنا إليك على الفور لكي نستشيرك».

قال هولمز: «كم يبعد منزل تريجينيس عن هنا؟».

أجاب السيد راوندهاي: «يبعد عن هنا مسافة كيلومتر ونصف الكيلو تقريبًا».

- «إذن سوف نسير إلى هناك معًا، لكن قبل هذا، أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة يا سيد تريجينيس».

كان السيد تريجينيس صامتًا كل هذه الفترة، ووجهه الشاحب يحدق في هولمز، وشفته السفلى ترتعش وهو يستمع إلى رجل الدين وهو يقص ما حدث.

أجاب في شيء من التوتر: «اطرح ما تشاء من أسئلة يا سيد هولمز، إن ما حدث أمر مريع، ويصعب التفكير فيه، لكنني سأجيبك بكل صدق».



قال هولمز: «إذن أرجو أن تحدثني عن ليلة أمس».

- «حـسنًا، كما قال السيـد راوندهاي، لقد تناولت العشاء في منزل أسرتي، واقترح شقيقي الأكبر، جورج، أن نلعب الأوراق. جلسنا لنلعب في حوالي الساعة التاسعة. وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والربع تقريبًا عندما نهضت لكي أغادر المنزل، وتـركتـهـم يواصلون اللعب في سرور حـول المائـدة».

سأل هولمز: «من اصطحبك مودعًا حتى باب البيت».

أجاب السيد تريجينيس وهو يرتجف: «كانت السيدة بوتر قد أوت إلى فراشها، ولهذا، خرجتُ بمفردي، وأغلقت الباب الأمامي ورائي. كـانت نافذة الغرفة حيث يجلسون مغلقة، لكن الستائر لم تكن منسدلة، وكان الوضع على هذه الحال تمامًا في هذا الصباح. ولا يوجد أي أثر لدخول شخص غريب إلى المنزل، ومع هذا فقد ظلوا في أماكنهم وقد أصابهم الجنون من شدة الرعب. وماتت المسكينة بريندا من شدة الفزع، ورأسها مائل على ذراع الكرسي. لن أستطيع مطلقًا إبعاد هذا المشهد عن تفكيري».

سأل هولمز: «هل لديك أية فكرة عما جرى؟».

أجاب السيد تريجينيس: «إنه أمر شيطاني يا سيد هولمز، أمر خارق للطبيعة، هناك شيء دخل إلى الغرفة وسبب لهم الجنون!».

قال هولمز: «حسنًا، إذا كان ما حدث أمرًا خارقًا للطبيعة، فلا يمكنني فعل شيء حياله، لكن يتعين علينا أولًا أن نفكر في تفسير أكثر منطقية. لماذا لا تعيش مع أسرتك يا سيد تريجينيس؟ هل أنت في خصومة معهم؟».

- «نعم يا سيد هولمز، فقد كان لدى عائلتنا مناجم قصدير، لكن قمنا ببيعها شركتنا وحصلنا على ما يكفي من الأموال لكي نتقاعد، ونعتمد على حصتنا من المال، ولكن للأسف، نشب جدال بيننا حول هذه الأموال، وكيـــف يتعين تقسيمها. كان كل هذا فيما مضى، وقد انتهى وأصبحت علاقتنا الآن قوية»، ثم تنحنح السيد تريجينيس مستــدركًا: «أقصد كانت علاقتنا متينة».

سأل هـــــولمز: «نعم، وهـل وقع أي أمر غـريب مساء أمـس؟ إن أي شـيء ولو كان بسـيطًا يمكنه أن يوجـهنا إلى ما قد جـرى لأسرتك؟».



- «لا شيء على الإطلاق».

- «هل بدا أفراد أسرتك في مسرورين كعادتهم؟».

- «نعم، كأفضل ما يكون».

نقر هولمز بأصابعه على ذراع الكرسي وهو يفكر قائلًا: «هممم، هل أنت واثق بعدم تذكرك أي أمر غريب أو غامض وقع بالأمس؟».

فكر السيد تريجينيس لوهلة، ثم قال: «هناك شيء واحد، فبينما كنا جالسين إلى المائدة، كان ظهري باتجاه النافذة، وشقيقي جورج كان مواجهًا لها، فرأيته يلقي نظرة على النافذة من وراء كتفي، واستدرت لأرى ما ينظر إليه. ورغم الظلام بالخارج، فإنني استطعت أن أتبين شجيرات الحديقة، وللحظة ظننت أنني رأيت

شيئًا يتحرك بينها، ولم أستطع الجزم بما إذا كان هذا إنسانًا أم حيوانًا، لكن بالتأكيد كان هناك شيء ما يتحرك، وعندما سألت جورج عما ينظر إليه، لم يعرف هو الآخر».

سأل هولمز: «هل خرجت لكي تستطلع الأمر؟».

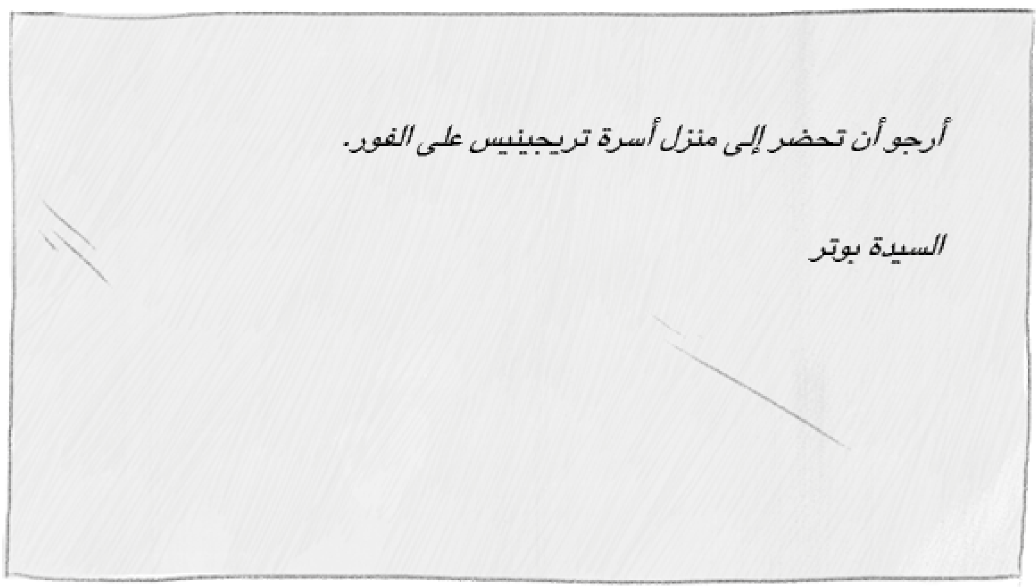
أجاب السيد تريجينيس: «لا، لم أعتقد أن الموضوع مهم».

نظر هولمز إليه بإمعان، ثم قال: «وعندما غادرت، هل شعرت بأي شيء يوحي بالشر؟ أو بقشعريرة تسري في عمودك الفقري؟ الإحساس بأن هناك شخصًا ينظر إليك من بعيد؟».

- «لا، مطلقًا، كنت قد نسيت تمامًا حركة هذا الشيء بين الشجيرات».

- «وكيف سمعت بالأخبار في هذا الصباح؟».

- «كنت قد خرجت في نزهة على قدمي، كما قال السيد راوندهاي، ورآني الطبيب ريتشارد وأنا في الطريق، فناداني، وقال إن السيدة بوتر قد أرسلت صبيًّا له برسالة استدعاء عاجلة.


أرجو أن تحضر إلى منزل أسرة تريجينيس على الفور.

السيدة بوتر

ركبت العربة، وذهبت معه إلى منزل أسرتي، وعندما وصلنا إلى هناك شاهدنا الغرفة المروعة، لا شك أن الشموع قد انتهت، وخفتت إضاءتها منذ ساعات، وظل

أفراد أسرتي المساكين جالسين في الظلام حتى بزوغ الفجر.

قال الطبيب إن بريندا كانت ميتة منذ ست ساعات، ولا أثر لوقوع أي عنف، ولا شيء سوى أنها مائلة على ذراع كرسيها وقد اعتلى وجهها نظرة ذعر هائلة، بينما كان شقيقاي جورج وأوين يغنيان مقاطع من أغانٍ قديمة، ويهذيان كأنهما قردان فوق الشجرة، ويبدو عليهما الجنون.

أوه، كان المشهد مريعًا! لم أستطع تحمله، وقد شُحب وجه الطبيب بدوره حتى أصبح كالورقة البيضاء، وسقط على الكرسي كأنه فقد وعيه».

نهض هولمز ليأخذ قبعته وهو يقول: «مذهل! مذهل جدًّا! يجب علينا أن نذهب إلى المنزل فورًا، لم يسبق لي أن سمعت عن قضية بمثل هذه الغرابة من قبل».

بينما كنا نسير في الممر الضيق المتعرج المؤدي إلى منزل أسرة تريجينيس، وجدنا عربة تسرع نحونا، وعندما وقفنا جانبًا لكي ندعها تمر، رأيت شخصًا غريبًا على وجهه ابتسامة واسعة ينظر إلينا عبر النافذة.



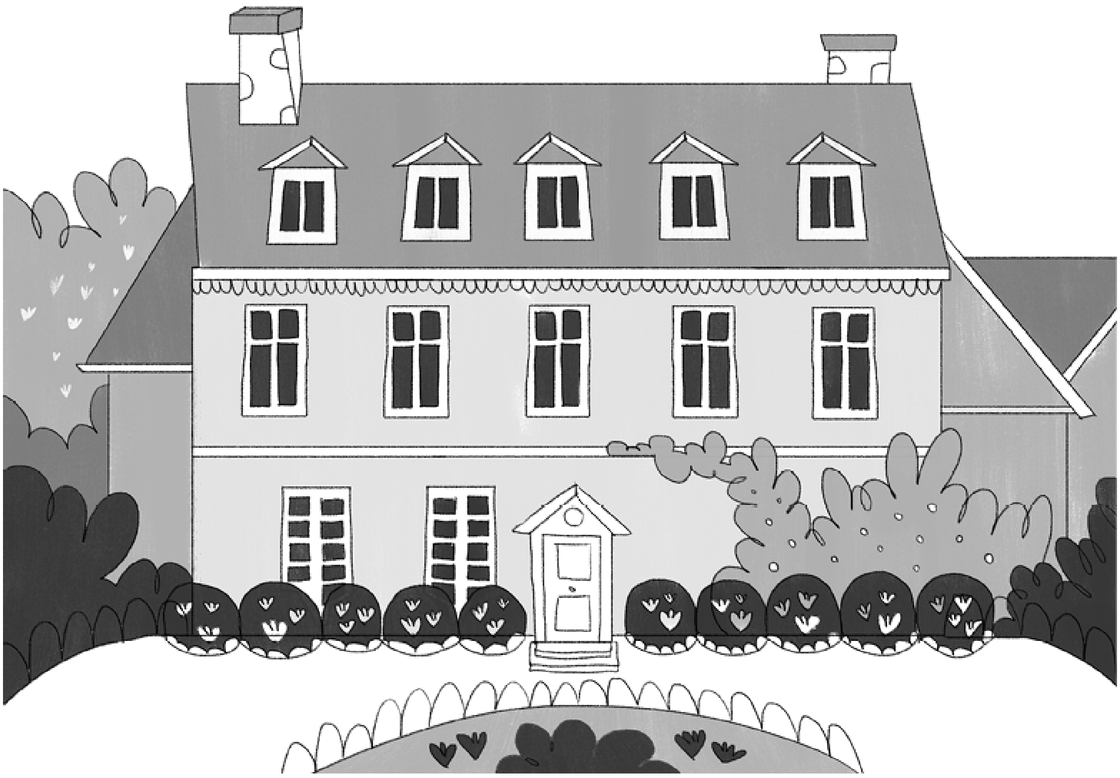
الفصل الثالث

صاح مورتيمر تريجينيــس قائـلًا: «شقيقـاي! لا بـد أنهـم سيـذهبـون بهما إلى المستشفى». شحبت شفتا تريجينيس، وبللت الدموع وجنتيه وهو يشاهد العربة تمضي بعيدًا.

وضع السيد راوندهاي يده على كتف السيد تريجينيس لكــي ينبهه حتى يسير معنا إلى الأمام نحو منزل أسرته.

كان البيت كبيرًا، وله حديقة تمتلئ بأزهار الربيع المزدهرة، رغم أننا لا نزال في بداية شهر مارس.

كانت نافذة غرفة الطعام مواجهة للحديقة، وبحسب كلام السيد تريجينيس، لا بد أن الشيء الشرير كان هنا - أيًّا كان هذا الشيء - وقد جاء ودمر الأسرة.





سار هولمز ببطء وهو يفكر وسط أحواض الزهور، وبطول الممر، قبل أن يدلف إلى الشرفة. كان مستغرقًا تمامًا في التفكير، حتى إنه أوقع وعاء الري من غير قصد، وانسكبت المياه على الممر وعلى أقدامنا.

في داخل المنزل، وجدنا مدبرة المنزل العجوز، السيدة بوتر، وقد تعاونت برحابة صدر في الإجابة عن كل أسئلة هولمز.

أجابت على السيد هولمز قائلة: «لا يا سيدي، أنا لم أسمع أي صوت خلال الليل، ولم يقع أي شيء غير مألوف على أية حال، وحتى صباح اليوم التالي لم أكن قد عرفت بوقوع أي شيء، ولم يسبق لي مطلقًا أن رأيت مثل هذا المشهد المريع يا سيد هولمز. وقد سقطت مغشيًّا عليَّ في اللحظة التي وضعت فيها عيني عليهم، ثم أفقتُ ثانية، وفتحت النوافذ، وركضت في الممر لكي أعثر على صبي المزرعة، فأرسلته لإحضار الطبيب على الفور».

بدأت السيدة بوتر تبكي وهي تخبرنا كيف قام أربعة رجال أقوياء من عمال المزرعة بحمل جثمان الآنسة تريجينيس إلى الطابق العلوي، ووضعها في فراشها، ثم وجدوا صعوبة وهم يُدخلون الشقيقين المصابين بالهذيان إلى العربة.

ثم قالت: «لا يُمكنني البقاء في هذا المنزل بعد هذا اليوم يا سيد هولمز»، ثم تمخطت بقوة في منديلها الأبيض، وتابعت تقول: «ليس بعد ما رأيته، سوف أرحل عصر هذا اليوم، وسأمكث مع أسرتي في شارع إيفيز». وأحنت رأسها وهي تكفكف دموعها بينما نسير خارج الغرفة.

دخلنا واحدًا تلو الآخر إلى غرفة الطعام؛ حيث وقعت المأساة، ولا يزال رماد النار موجودًا في المدفأة منذ الليلة السابقة، وعلى المائدة توجد بقايا الشموع الأربع، وأوراق اللعب الموزعة على المائدة. وكأن المشهد قد تجمد ولم يمر عليه الوقت. فكل شيء كما كان في الليلة السابقة، باستثناء المقاعد التي تمت إزاحتها إلى الوراء عند الجدران عند أخذ الشقيقين إلى المستشفى.



أخذ هولمز يسير في الغرفة بخطوات خفيفة وسريعة، ودفع الكراسي إلى أماكنها حول المائدة، ثم جلس على أحدها، وأخذ يحدق في النافذة كأنه يحاول أن يعثر على الموضع المثالي.

سأل هولمز فجأة: «لماذا أشعلوا النار؟ هل دائمًا ما يشعلون المدفأة في هذه الغرفة الصغيرة في ليالي الربيع؟».

أوضح السيد تريجينيس أن الطقس بالأمس كان باردًا، ولهذا أشعلوا نيران المدفأة بعد وصوله مباشرة.

ثم سأله: «ماذا ستفعل الآن يا سيد هولمز؟».

ابتسم صديقي ولم يجب، ووضع يده على ذراعي.

- «أعتقد يا واطسون أنه قد حان الوقت لتناول الشاي».

ابتسمتُ له بدوري، وسعدت لأنه كان يفكر في صحته، وفي الحصول على قسط من الراحة.

تابع هولمز: «بعد إذنكم يا سادة، سوف نعود الآن إلى كوخنا، ولا أعتقد أن هناك شيئًا آخر يستدعي رؤيته. سوف أفكر جيدًا في القضية، يا سيد تريجينيس، وإذا توصلت إلى أي شيء جديد فسوف أنبئك به أنت والسيد راوندهاي. وفي تلك الأثناء أرجو لكما صباحًا سعيدًا».

في الكوخ لم يرتشف السيد هولمز أية رشفة من فنجان الشاي أو يأكل أي شيء من الكعك، بل جلس متقوقعًا في كرسيه، ودخان غليونه يلتف في دوائر حول وجهه. ورغم أنني كثيرًا ما نبهته إلى مدى ضرر التدخين، فإنه لا يستمع إليَّ مطلقًا.



وبعد ساعة تقريبًا، ساد خلالها الصمت، ترك غليونه ونهض واقفًا على قدميه.

ثم قال: «لا فائدة يا واطسون! دعنا نسر بمحاذاة المنحدرات الصخرية معًا ونبحث عن رفات ديناصور، فهذا أسهل في إيجاده مقارنة بإيجاد أدلة تفيد في حل هذا اللغز»، وتوقف لكي يحك ذقنه، ثم قال: «إن هواء البحر العليل وأشعة الشمس والصبر هي كل ما نحتاج إليه يا واطسون، وسوف يصل إلينا الجواب في الوقت المناسب».

وبينما كنا نسير بطول المنحدرات الصخرية نحو الشاطئ، كان هولمز يفرقع أصابعه وهو يدندن، وكان من الواضح أنه يحاول ألا يفكر في القضية، لكنه استسلم بعد دقائق قليلة.

قال هولمز: «دعنا نفكر فيما نعرفه، وبهذه الطريقة عندما تظهر أدلة جديدة، نكون مستعدين لوضعها في مكانها المناسب. أفترض أنك تتفق معي يا واطسون في عدم وجود قوى خارقة هنا؛ فلا يوجد شبح أو طيف يمكن أن يكون المسئول عما جرى، دعنا إذن نخرج هذا الاحتمال من ذهنينا».

أومأت بالموافقة.

- «حسن جدًا، إذن هناك ثلاثة أشخاص تأثروا بهذا الحدث المريع، لكن متى كان ذلك بالضبط؟ إذا كان ما يقوله السيد تريجينيس صحيحًا، فلا بد أنه وقع عقب مغادرته المنزل مباشرة؛ فقد كانت أوراق اللعب لا تزال موزعة على المائدة، رغم أن هذا الوقت يتجاوز موعد النوم المعتاد للأسرة، وإذا لم يكن هذا الحدث الغريب

قد وقع مباشرة بعد رحيل السيد تريجينيس، لكان أفراد الأسرة قد جمعوا أوراق اللعب وذهبوا إلى أسرَّتهم. وتلك نقطة مهمة جدًّا».

قلت له: «حسنًا، إذًا فقد وقع الحادث بمجرد مغادرة السيد تريجينيس للمنزل، ما الذي نعرفه أيضًا؟».

أجاب هولمز: «نعرف إلى أين ذهب السيد تريجينيس بعدها، فقد تحققتُ من تحركاته في تلك الليلة عبر النظر إلى آثار أقدامه، فأنا واثق بأنك قد أدركت يا واطسون أن إسقاطي وعاء عند المنزل لم يكن حادثًا عارضًا. ولمَّا كان الممر مغطى بالرمال عندما سكبت المياه، حصلتُ على أثر واضح لقدم السيد تريجينيس، ثم طابقت هذا الأثر مع الآثار التي تحيط بالمنزل، ويبدو أن السيد تريجينيس بعدما غادر منزل أسرته في الليلة الماضية، عاد مسرعًا إلى مسكن رجل الدين».



لم أكن قد أدركت أن هولمز تعمد إسقاط وعاء الري، لكنني أومأت برأسي كأنني كنت أدرك هذا من البداية.

سألته: «إذًا ما دام السيد تريجينيس سار مبتعدًا، فمن أو ما الذي أخاف شقيقته إلى درجة الموت، وأدى إلى جنون شقيقيه؟ لا يمكن أن تكون السيدة بوتر، فهي ما كانت لتؤذي أحدًا، أنا واثق بهذا».

تابع هولمز: «هل هناك أي دليل يشير إلى تسلل شخص ما إلى النافذة وقيامه بهذا؟ فقد قال السيد تريجينيس إنه رأى حركة في الحديقة، لكن الليلة كانت ممطرة، والسماء مليئة بالسحب والجو مظلم، وأيّ شخص يرغب في بث الرعب في

أنفسهم، كل ما عليه فعله أن يلصق وجهه بزجاج النافذة، وهناك حوض أزهار يقع خارج هذه النافذة مباشرة، لكن لا توجد آثار أقدام عليه. إذن يبدو هذا الاحتمال مستبعدًا.

وما الدافع؟ مَن قد يرغب في فعل مثل هذا الأمر؟ أترى ما نواجهه من صعوبات يا واطسون؟»

وافقته قائلًا: «نعم».

- «ومع هذا فلا بد من وجود إجابة، لكننا سوف نضع هذا الأمر جانبًا حتى نحصل على معلومات أكثر، وأود أن نقضي بقية النهار في استكشاف الكهوف المحيطة بنا؛ حيث يقول السكان المحليون إنها في السابق كانت مساكن للقبائل في العصر الحجري الحديث».

يجيد هولمز إلهاء نفسه عندما يرغب في ذلك؛ فقد أخذنا نسير في صباح هذا اليوم الربيعي ونتحدث عن قبائل السلت القديمة، ورؤوس السهام، ومواقع الدفن التاريخية، وحطام السفن، ورفات الديناصورات، واستمر هذا لأكثر من ساعتين.

ولم نعد للتفكير في لغز الجريمة إلا عقب عودتنا إلى الكوخ بعد الظهيرة ورؤيتنا للزائر.

لم يكن أي منا بحاجة إلى من يخبره بماهية هذا الزائر، فقد كان هذا الرجل معروفًا بجسده الضخم، وعينيه الشرستين، وأنفه المعقوف كالصقر، وشعره ولحيته اللذين يخط فيهما الشيب، كان شخصًا معروفًا في إنجلترا كلها، بل في إفريقيا.

إنه دكتور ليون ستيرندايل المستكشف الشهير.

الفصل الرابع

كنا قد سمعنا عن وجود الدكتور ستيرندايل في هذه المنطقة، ورأيناه بجسده فارع الطول مرة أو مرتين في ممرات المستنقعات أثناء تنزهنا، ولم نتوقف لتحيته، لأننا نعرف أنه يحب أن يبقى بمفرده.

كان الدكتور ستيرندايل يعيش في كوخ صغير في أعماق الغابة، هذا إذا لم يكن مسافرًا إلى إفريقيا، وهناك وسط كتبه وخرائطه يعيش حياة منعزلة، وكان من المفاجئ أن نراه في كوخنا.

قال الدكتور ستيرندايل: «أرجو ألا أكون قد أزعجتكما بزيارتي أيها السيدان، فلقد سمعت بالحادث المروع في منزل أسرة تريجينيس، وليس لدى الشرطة أية فكرة بعد عما جرى، لكنني كنت أتساءل عما إذا كنت قد اقتربت من حل اللغز يا سيد هولمز؟ أنا أعرف أسرة تريجينيس معرفة وثيقة، وكان هذا الحادث صادمًا لي، فقد كنت في طريقي للعودة إلى إفريقيا، وحين وصلتُ إلى مدينة بلايموث الساحلية للتوجه من هناك إلى إفريقيا، علمت النبأ الحزين في صباح هذا اليوم، ولهذا عدت من فوري لكي أعرض مساعدتي».



رفع هولمز حاجبيه.

وسأله: «هل فاتتك السفينة؟».

أجاب الدكتور ستيرندايل ملوحًا بيده كأنه أمر لا يهم: «نعم، لكن يمكنني اللحاق بالسفينة التالية».

قال هولمز وقد بدا الشك في نبرة صوته: «أنت صديق حقيقي، هل كانت أمتعتك بالفعل على متن السفينة؟».

- «بعض أمتعتي، لكن لا يزال أغلبها في الفندق».

قال هولمز: «لكن لا يمكن أن يكون الخبر قد وصل إلى صحف مدينة بلايموث بعد».

هز الدكتور ستيرندايل رأسه قائلًا: «لا يا سيد هولمز، لقد تلقيت برقية».

- «هل لي أن أسألك ممن تلقيتها؟».

أكفهرَّ وجه الدكتور ستيرندايل وهو يقول: «أنت تكثر من طرح الأسئلة يا سيد هولمز».

أجاب هولمز: «هذا هو عملي».

هدأت ملامح الدكتور ستيرندايل، وابتسم ابتسامة واهنة وقال: «بالطبع، وأنا لا أمانع في إخبارك. السيد راوندهاي، رجل الدين، هو من أرسل إليَّ بالبرقية».



قال هولمز: «شكرًا لك، كل ما يمكنني قوله إن القضية مثيرة جدًّا للاهتمام، وأنا لم أصل لحلها بعد».

- «هل تمانع في أن تخبرني عما إذا كانت لديك أية فرضيات عن الجريمة؟».

أجاب هولمز: «أخشى أنني لا أستطيع إجابتك عن هذا السؤال».

- «إذن فقد أضعت وقتي»، واستدار الدكتور ستيرنندايل في غضب وسار بخطى واسعة بعيدًا عن كوخنا.

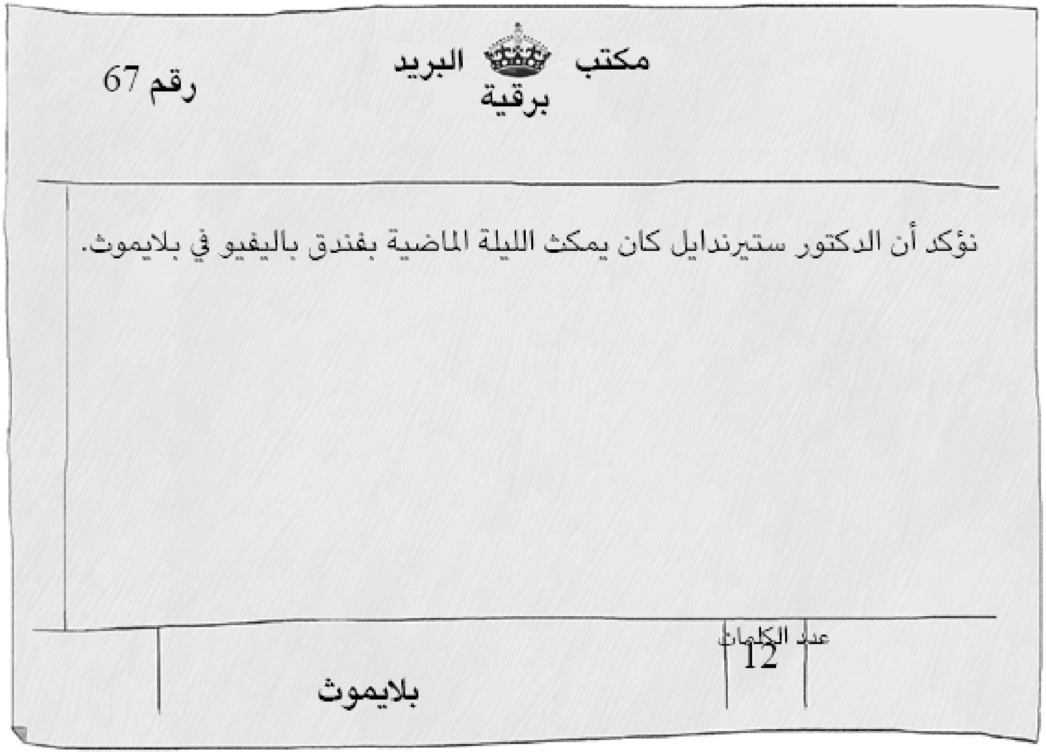
وفي خلال خمس دقائق خرج هولمز ليتبعه، ولم أره ثانية حتى المساء.

وحين عاد إلى الكوخ، بدا الإجهاد والإحباط على وجهه، ما جعلني أستنتج أنه لم يحرز أي تقدم في القضية، وبكل تأكيد لم يحرز أي تحسن في صحته البدنية.

بادرته بالقـــول: «هولمز، يتعين عليَّ أن أؤكد...»، لكنه هز رأسه وذهـــب ناحية البرقية التـــي وصلته أثناء غيابه، وحـــدق فيهـــا ثـــم ناولني إياها.



قلت له بينما يأخذ مني البرقية ثانية ويلقي بها في المدفأة: «إذن كان الرجل صادقًا».



مكتب البريد

برقية

رقم 67

نؤكد أن الدكتور ستيرندايل كان يمكث الليلة الماضية بفندق باليفيو في بلايموث.

عدد الكلمات 12

بلايموث

قال هولمز: «نعم، وإن بعض حقائبه موجودة الآن على متن السفينة المبحرة إلى إفريقيا، تمامًا مثلما قال. ما الذي تفهمه من هذا يا واطسون؟».

قلت: «إنه مهتم جدًّا بالقضية».

قال هولمز وهو يغوص في كرسيه: «نعم، هذا صحيح، هناك خيط في القضية لم نتوصل إليه بعد، ومن شأنه أن يكشف عن حل اللغز كله». ثم نظر إليَّ ولاحظ القلق البادي على وجهي، فقال: «اهدأ يا واطسون، أنا واثق بظهور المزيد من المعلومات عما قريب، وبعدها نحل هذه القضية ونستكمل إجازتنا».

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي كنت أرتدي ثيابي في غرفة نومي عندما سمعت صوت حوافر حصان، فنظرت من النافذة، ورأيت عربة الكلاب مسرعة في الطريق. توقفت العربة أمام بابنا، وقفز منها راوندهاي، رجل الدين، وأسرع نحونا عبر ممر حديقتنا.

كان هولمز مرتديًا ثيابه، فأسرعنا بالخروج لملاقاة زائرنا، وكان السيد راوندهاي في حالة ذعر شديدة، حتى إنه لم يكد يستطيع الكلام، وأخيرًا قال وهو يلهث بقوة إن مأساة أخرى قد وقعت.

صاح راوندهاي قائلًا: «إنه الشيطان يا سيد هولمز! هذه المدينة البائسة قد سكنها الشيطان! والشيطان حر طليق فيها!».

عربة الكلاب

عبارة عن عربة خشبية بسيطة يجرها حصان، وتستخدم في المناطق الريفية. تحتوي على مقعد يسع السائق وراكبًا واحدًا، وهناك عربات أخرى تحتوي على مقاعد متعاكسة، وعادة ما يطال الجالس إلى الجانب الأيسر بعض الوحل من الطريق.وعادة ما يتم طي المقعد الخلفي لترك مساحة للكلاب، ومن هنا جاءت تسميتها.

أخذ السيد راوندهاي يفرقع أصابعه، وينظر يمينًا ويسارًا، كأنه يبحث عن الكلمات المناسبة.

ثم قال بسرعة: «لقد مات السيد مورتيمر تريجينيس ليلة أمس، وبالطريقة ذاتها التي ماتت بها شقيقته».

امتلأ هولمز فجأة بالطاقة والحيوية وسأله: «هل يمكن لعربة الكلاب هذه أن تسعنا معك؟».

أجاب السيد راوندهاي: «نعم يمكن».

- «إذن، سوف نؤجل إفطارنا يا واطسون. نحن هنا لمساعدتك يا سيد راوندهاي، هيا أسرع قبل أن يتم العبث بمسرح الجريمة».

كان السيد تريجينيس قد استأجر غرفتين في المقر الذي يسكنه رجل الدين - غرفة معيشة كبيرة وغرفة نوم في الطابق الذي يليه، وكلتاهما تطل على الأعشاب الخضراء التي تصل في ارتفاعها إلى النافذة.

وصلنا قبل مجـيء الطبيــب أو الشرطة، وسرنا إلى الباب الأمامي، ومن خلاله إلى غرفة الجلوس.

إن المشهد الذي رأيناه في هذا الصباح من شهر مارس الضبابي هو مشهد لن أنساه مطلقًا.

كان جو الغرفة خانقًا لأقصى درجة، رغم أن الخادمة كانت قد فتحت النافذة، ومصباح الزيت كان لا يزال مشتعلًا فوق المائدة، ويتصاعد منه الدخان، وإلى جواره تستقر جثة الرجل مستندة إلى ظهر الكرسي. وكانت لحيته الخفيفة بارزة، ونظارته مرفوعة على جبينه، ورأسه متجهًا نحو النافذة، تمامًا مثل شقيقته، وقد ظهر على وجهه تعبير ذعر رهيب. كان مرتديًا ثيابه بالكامل رغم ما بدا من أنه قد ارتدى ملابسه على عجل.

قال السيد راوندهاي وهو يتفحص الأرض ببصره: «أعتقد أنه مات في وقت مبكر هذا الصباح، فلقد ذهبت الخادمة إلى غرفة النوم، ووجدت أنه قد نام في فراشه؛ لهذا من الواضح أنه لم يمت في الليل».



رأيتُ تغيرًا مفاجئًا على هولمز وهو ينظر في أرجاء الغرفة، وقد ازداد انتباهه ويقظته.

قال هولمز: «سأعـود بعـد لحـظات يا واطسون»، ثم خرج فجأة لفحص الأعشاب وسار حول الحديقة بالكامل قبل أن يعود عبر النافذة، ثم سار بسرعة حول غرفة الجلوس، وتقريبًا ركض صاعدًا إلى الطابق العلوي؛ حيث غرفة النوم دون أن ينطق بكلمة واحدة.

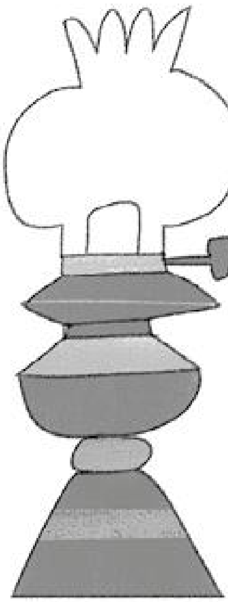
تبعته إلى الطابق العلوي، وفي غرفة النوم أخذ هولمز ينظر سريعًا في أرجائها، ثم فتح النافذة بقوة، ومال بجسده خارجها، وتعـلق بالجدار خارج النافذة، وصاح قائلًا: «آ آ آ ه!» قبل أن يبدأ الضحك بصوت عالٍ، ثم دخل بجسده من النافذة، وأسرع بالهبوط إلى الطابق السفلي، ومن خلال النافذة المفتوحة في غرفة الجلوس ألقى بنفسه على الأعشاب.



ناديته: «هولمز! هل جنن...»

وقبل أن أنتهي من عبارتي، هبَّ واقفًا ثانية وسط الأعشاب، وركض إلى داخل غرفة الجلوس وهو في قمة الحماس والطاقة.

قال هولمز: «يجب أن ألقي نظرة على هذا المصباح يا واطسون»، ثم انحنى لكي ينظر إليه، كان مصباح زيت عاديًّا من النحـاس، يعلوه شبه كرة من الزجاج الأبيض.



قام هولمز بفحص المصباح بعناية، ثم نظر إلى الدخان المنبعث من المصباح بعدسته المكبرة، وقـشط بعض الرماد من فوق سطحه ووضعه في مظروف، ثم وضع المظروف في جيبه.

وأخيرًا عنــد وصـــول الطـبيب والشرطة، قادني هولمز أنا والسيد راوندهاي إلى الخارج عند الأعشاب.

قال هولمز: «يسعدني القول إنني قد أحرزت بعض التقدم، لكن لا يمكنني البقـاء لمناقشة الأمر مع الشرطة»، ثم التفت إلى رجل الدين وسأله: «يا سيد راوندهاي، هلا تخبر المحقق أنني أقترح عليه أن ينظر إلى نافذة غرفة النوم ومصباح غرفة الجلوس؟ لأن كلًّا منهما يحوي دليلًا، ويقدمان الجواب معًا. وإذا أراد رجال الشرطة معرفة المزيد من المعلومات، فيسعدني رؤية أي منهم في كوخنا».

ثم التفت هولمز إليَّ قائلًا: «والآن يا واطسون، أعتقد أنه من الأجدى أن نذهب إلى مكان آخر».

لم يصلنا أي نبأ من الشرطة على مدى اليومين التاليين، وتساءلت لماذا لم يرغبوا في العمل مع هولمز، فربما لأنهم قد توصلوا لحل القضية بأنفسهم.

قضى هولمز بعض الوقت في الاسترخاء؛ متقوقعًا في كرسيه وهو مستغرق في التفكير. كان يخرج في أغلب الوقت للتنزه بمفرده، ثم يعود بعد ساعات، لكنه لم يخبرني قط أين كان يذهب.

وفي يوم من الأيام، أجرى تجربة، فقد اشترى مصباح زيت، مماثلًا تمامًا للمصباح الذي كان مشتعلًا في غرفة جلوس السيد تريجينيس في صباح يوم المأساة.

وملأ المصباح بالزيت نفسه المستخدم في مسكن رجل الدين، ووضع ملاحظة بخصوص الفترة المستغرقة لنفاد الزيت، وكانت تجربة بسيطة وأقل إثارة من تجاربه الكيميائية الأخرى للخلطات الفقاعية الخضراء والمتفجرة التي يُحضِّرها في شارع بيكر.

لكن التجربة التي أجراها هولمز في اليوم التالي، كانت أشد خطورة بكثير.



الفصل السادس

خرجت أنا وهولمز للتنزه قليلًا في النهار، وعدنا إلى كوخنا بحلول وقت الغداء، وبعد انتهائنا من تناول الطعام، رفع هولمز عينيه من فوق طبقه الفارغ، وثبتهما على مصباح الزيت.

وقال: «أنت تتذكر يا واطسون أن هناك شيئًا ذكره الجميع في إفادتهم في القضية: جَوّ الغرفة. هل تذكر وصف السيد تريجينيس لما جرى بعد رؤية أسرته في هذه الحال المريعة؟ قال إن الطبيب عندما ذهب إلى غرفة الطعام، سقط على الكرسي.

والآن، تذكر أيضًا أن السيدة بوتر، مدبرة المنزل، أخبرتنا بأنها قد فقدت وعيها عندما دخلت الغرفة، وعندما أفاقت فتحت النافذة.

إذن يا واطسون كل هذه الحقائق تشير إلى أمر واحد فقط، ففي كل من الحالتين كان هناك دليل على وجود جو مسمم، إلى جانب وجود احتراق ما في الغرفة، في القضية الأولى المدفأة، وفي الثانية مصباح الزيت. كانت هناك حاجة لإشعال نيران المدفأة، لكن لم تكن هناك حاجة لإشعال مصباح الزيت، فقد أُشعل المصباح بعد شروق الشمس بفترة طويلة؛ حيث يمكننا معرفة كمية الزيت التي احترقت بفضل التجربة التي أجريتها.

لماذا قد يشغل شخص مصباحًا، في حين أن ضوء النهار قد سطع بالفعل؟ لا بد من وجود صلة بين هذا الاحتراق، والجو الخانق، وأخيرًا الجنون أو الموت، وهذا واضح، أليس كذلك؟».

أجبته: «نعم يبدو واضحًا».

ثم تابع هولمز وهو يشير إلى المصباح: «حسنًا، في كلتا الحالتين كان هناك احتراق أدى إلى تسمم الجو. ففي الحالة الأولى في منزل أسرة تريجينيس، وُضعت المادة المسممة في نار المدفأة، وكانت النافذة مغلقة، لكن بعض الأبخرة كانت تصعد خارجًا عبر المدخنة، ولهذا كان تأثير التسمم أقل، مقارنة بما جرى في مسكن رجل الدين. كانت الآنسة بريندا تريجينيس هي الأكثر قربًا للمدفأة، وقد

ماتت، بينما كان شقيقاها أبعد قليلًا وظهر عليهما فقط أمارات الجنون، وبالطبع فقد نجا السيد مورتيمر تريجينيس من الحادثة الأولى، لأن ذلك وقع بعد انصرافه.

أما في الحالة الثانية، فلم يستمر حسن حظ السيد مورتيمر تريجينيس، فقد جلس قريبًا من مصباح الزيت ومات، وهذا يثبت أن السم يعمل فقط عند إشعاله.

وُضعت كل هذا في حسباني، ثم تفحصت السطح المجاور لـفـتيل مصبـاح الزيت في مسكن السيد تريجينيـس، ووجدت بــقـايا السم، وكنـت قد وجدت بقايا على شكل مسحوق بني اللون. أخذت نصفه، كما رأيت ووضعته في مظــروف».



سألتُ هولمز: «لماذا اكتفيت بأخذ النصف فقط؟».

- «لم أرد أن أتسبب في عرقلة تحقيقات الشرطة يا واطسون، فتركت نصفه دليلًا أمامهم، ويتعين عليهم إيجاده وحسب».

نظر إليَّ في ترقب، ثم قال: «والآن يا واطسون، سوف نشعل مصباحنا، لكننا سوف نفتح النافذة أولًا، لكي نتجنب أن نتعرض، بوصفنا نموذجين نافعين في المجتمع، للموت قبل أواننا».

اتسعت ابتسامة هولمز، لكنني لم أبتسم، فقد أحسست إحساسًا مريعًا بأننا على وشك خوض تجربة خطيرة للغاية.

- «أرجو يا واطسون أن تجلس على هذا الكرسي بالقرب من النافذة المفتوحة، إلا لو كنت تفضل ألا تشارك في التجربة، لكنك سوف تساعدني، أليس كذلك يا واطسون؟ وأنا أعرف يا صديقي العزيز أنك لن تخذلني، ليس في الوقت الذي نحقق فيه في قضية مهمة كهذه».

أومأت برأسي، فإن رفض طلب لهولمز كان أمرًا شبه مستحيل.

تابع هولمز: «سنترك الباب مفتوحًا قليلًا، وسأضع هذا الكرسي أمامك حتى نكون بعيدين بما يكفي عن تأثير السم، ونظرًا لأننا سوف نجلس متقابلين، يمكننا أن يتابع أحدنا الآخر، ونوقف التجربة إذا ظهرت على أي منا أي أعراض، هل هذا واضح؟».

تنهدتُ في استسلام، وذهبت للجلوس على الكرسي، ونظرت عبر النافذة المفتوحة بشيء من الارتياح، فعلى الأقل هناك احتمالية لعدم موتنا.

فتح هولمز المظروف وقال: «والآن، سوف أُخرج بعض هذا المسحوق وأضعه بجوار فتيل النار في المصباح، وننتظر لنرى ما يحدث».


RADIX
PEDIS
DIABOLI

الفصل السابع

لم يتعين علينا أن ننتظر طويلًا.

كنت مستقرًّا في جلستي على الكرسي قبل أن تمتلئ فتحتا أنفي برائحة مسك جعلتني أشعر بالإعياء.

ومع أول هبَّة لهذه الرائحة جمح خيالي، وغطت سحابة سوداء كثيفة عيني، وأخذ ذهني يخبرني بوجود شيء مريع يترصدني في هذه السحابة السوداء، وأنه على وشك أن يقفز عليَّ، كأنني كنت أرى كابوسًا في وضح النهار. وبدأت أشكال ضبابية تلتف وتسبح في السحابة السوداء، وكل شكل منها مفزع أكثر من سابقه، وشعرت بالخوف، وكأن شعر رأسي يقف، وعيني تجحظان، وفمي ينفتح، ولساني يجف كأنه قطعة من الجلد. حاولت أن أصرخ، لكن لم يصدر من فمي سوى شهقة بسيطة.

دفعتُ بيدي وأزحت بعض الظلال في السحابة السوداء، ومن خلالها لمحت وجه هولمز، كان وجهه شاحبًا وجامدًا، وقد بدت عليه نظرة رعب رهيبة رأيناها من قبل في عيني جثة السيد تريجينيس وشقيقته، وكانت هذه النظرة هي ما أمدتني بالقوة للحظة.

فقزت من فوق مقعدي، وأحطت هولمز بذراعي، وخرجنا معًا من الغرفة، وألقينا نفسينا فوق الأعشاب بالخارج. استلقينا جنبًا إلى جنب، وقد دفأت أشعة الشمس وجهينا، وطردت الكوابيس من خيالنا في لحظات قصيرة.



وعندما عادت أذهاننا ثانية إلى طبيعتها، جلسنا فوق الأعشاب ونحن نمسح جبهتينا المتعرقتين بأنفاس ثقيلة.

بصوت متهدج قال هولمز: «يا إلهي! أنا مدين لك بالشكر والاعتذار يا واطسون، لقد كانت تجربة خطيرة للغاية، أخطر حتى من أن أجريها على نفسي. وما كان يجب مطلقًا أن أعرض حياتك أنت أيضًا للخطر، أنا آسف بحق».

لم يسبق أن رأيت هولمز شاعرًا بالذنب على هذا النحو، وكنت على وشك أن أجيبه بأنني سأبقى دائمًا إلى جواره، سواء أكان في تجربة خطيرة أم لا، وهذا عندما انفجر فجأة ضاحكًا بصوت عالٍ.

قال هولمز: «أتعلم، من المفترض أن يؤدي هذا السم إلى دفع النـاس للجنون، لكننـي أتـساءل عـما إذا كنا مجنونين بالفعل بدرجة ما يا واطسون، لأننا قد أجرينا مثل هذه التجربة الجنونية، ولم أتخيل مطلقًا أن يقع تأثيرها بمثل هذه السرعة والحدة، فقد كدنا نموت!».

نهض هولمز على قدميه، وأسرع إلى داخل الكوخ، وخرج ثانية وهو يحمل المصباح المشتعل في يده، وقد بسط ذراعه بالكامل ليبعده عن وجهه، ثم ألقى به من فوق المنحدر الصخري ليسقطه في البحر الهائج.

وقال: «لا بد أن نبقى هنا حتى يصفو جو الغرفة، لكننا نعلم الآن على الأقل كيف وقعت المأساة بالضبط».

أجبته: «نعم، علمنا ذلك».

- «لكن ما زلنا لا نعرف من وضع السم لأسرة تريجينيس أو لماذا؟ تعالَ لنجلس فوق الأريكة هناك ونتناقش في الأمر».

جلسنا فوق الأريكة التي تكسوها أوراق الشجر المتسـاقـطـة، وأخذنا نفسًا عميقًا من هواء البحر المنعش لكي نخرج السموم من رئتينا. والأمواج تتدافع وتتكسر بالأسفل على الصخور، وطيور النورس تصيح من الأعلى.



- «أعتقد أن كل الأدلة تشير إلى أن السيد تريجينيس هو مرتكب المأساة الأولى، وهذا برغم أنه كان الضحية في الجريمة الثانية».

سألته: «حقًّا؟».

- «نعم يا واطسون، علينا أن نتذكر وجود خلاف أسري، والذي كان السبب في انتقال السيد تريجينيس من المنزل، ولقد قال لنا إنهم تصالحوا بعدها، لكننا لا نعلم مدى حدة هذا الخلاف، أو مدى صدق التصالح».

أومأت بالإيجاب. صحيح أنني لم أشك في السيد تريجينيس قبل ذلك، لكنني أثق بحكم هولمز.

- «وتذكر أيضًا أن فكرة وجود شخص مترصد في الحديقة كانت نابعة منه، وأظن أنه بهذا كان يحاول صرف انتباهنا عنه حتى نشك في وجود قاتل بالخارج، ولا بد أن السيد تريجينيس هو من ألقى بهذه المادة في النار وقت مغادرته، وإلا فمن فعل ذلك؟ فقد حدث الأمر بعد انصرافه مباشرة، وما كان ليذهب شخص آخر لزيارتهم بعد أن تجاوز الوقت الساعة العاشرة ليلًا، على الأقل ليس في مدينة كورنوول الهادئة؛ ولهذا لا بد أن يكون المجرم هو سيد مورتيمر تريجينيس».

سألته: «لكن مَن الذي قتله؟».

- «هناك رجل واحد في إنجلترا كلها يا واطسون يعلم كل ما يتعلق بهذه الحالة، وقد رتبتُ معه لكي يخبرنا بالحقائق في عصر هذا اليوم. آه، ها هو ذا قد أتى مبكرًا».

استدرت لأرى دكتور ستيرندايل قادمًا في الممر أمامنا.

قال هولمز وهو يبتسم في ود: «دكتور ستيرندايل، تفضل معنا هنا».

جلس الرجل الضخم على الكرسي الخشبي أمامنا.

ثم قال: «لقد أرسلت في طلبي يا سيد هولمز، وها قد جئت إليك رغم أنني غير مضطر إلى أن ألبي طلبك هذا».

أجابه هولمز: «وأنا ممتن لمجيئك، وأرجو أن تعذرنا على مقابلتنا لك هنا في الحديقة، فقد قمت أنا وواطسون بإجراء تجربة كيميائية بسيطة في الكوخ، وكنا بحاجة إلى بعض الهواء الطلق. وقد عرفنا المزيد عن القصة التي أطلقت عليها الصحف اسم «رعب كورنوول»، ثم ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي هولمز.

أضاف هولمز: «نظرًا لصلتك بهذه القضية يا دكتــور ستـيـرنـدايل، فقد فكرت أنه يتعين علينا أن نتحدث معًا؛ حيث لن يسمع محادثتنا أحد».

حدق المستكشف في وجه هولمز وقال: «لا أدرى يا سيد هولمز ما الجزء الذي له صلة بي في هذه القضية».

أجاب هولمز: «مقتـل مـورتيـمر تريجينيس بالطبع».

تحول وجه دكتور ستيرندايل ذو الملامح الشرسة إلى اللون الأحمر القاني، وحملق بعينيه، وبرزت الأوردة في جبهته، وقبض على يديه وكورهما، ثم قفز ناحية هولمز وهو يصيح بصوت هادر.



الفصل الثامن

ثم توقف دكتور ستيرندايل فجأة كأنه قد تجمد في مكانه، ثم هدأت حمرة وجهه، وأصبحت ملامحه جامدة، وحينها بدا مرعبًا أكثر من ذي قبل.

ثم قال: «لقد عشت فترة طويلة في براري إفريقيا، وقد اعتدت على فعل ما يحلو لي، دون الامتثال لأي قانون، ومن الأفضل يا سيد هولمز ألا تنسى هذا،... لكنني لا أريد أن ألحق بك أي أذى».

وفي هدوء قال هولمز: «وأنا أيضًا لا أريد أن ألحق بك أي أذى يا دكتور ستيرندايل، وأعتقد أن هذا واضح؛ لأنني في نهاية المطاف أعرف سرك، ومع هذا فقد أرسلتُ إليك، ولم أرسل للشرطة، وهذا دليل على عدم رغبتي في إيذائك».

شهق الدكتور ستيرندايل، ثم ارتمى على كرسيه.

وسأل بصوت حاول أن يبدو هادئًا: «ماذا تقصد؟ هل هذه خدعة يا سيد هولمز؟ فأنا لا أحب الألعاب أو الحيل».

أجاب هولمز: «أنا لا أخدعك، سوف أشرح كل شيء، وآمل في المقابل أن تتحدث معي بصدق وانفتاح؛ حيث يهمني بشدة أن أعرف سبب ما فعلته».

سأله الدكتور ستيرندايل: «ما الذي فعلته؟».

- «لماذا قتلت مورتيمر تريجينيس».

مسح الدكتور ستيرندايل جبهته بمنديله، وسأله: «كيف توصلت تحديدًا إلى مثل هذا الاستنتاج السخيف يا سيد هولمز؟».

نظر هولمز في صرامة إلى المستكشف، وأجابه: «سوف أخبرك، كنت أشك في بداية الأمر بتورطك في هذه القضية عندما عدت من مدينة بلايموث بعد أن تركت الكثير من أمتعتك تصل إلى إفريقيا».

- «لقد عدت لـ...».

- «سبق أن سمعت أسبابك يا دكتور ستيرندايل، وأعتقد أنها واهية وغير مقنعة، ولا أحتاج إلى سماع القصة مرة أخرى، لقد جئتَ لكي تسألني عمن أشك في

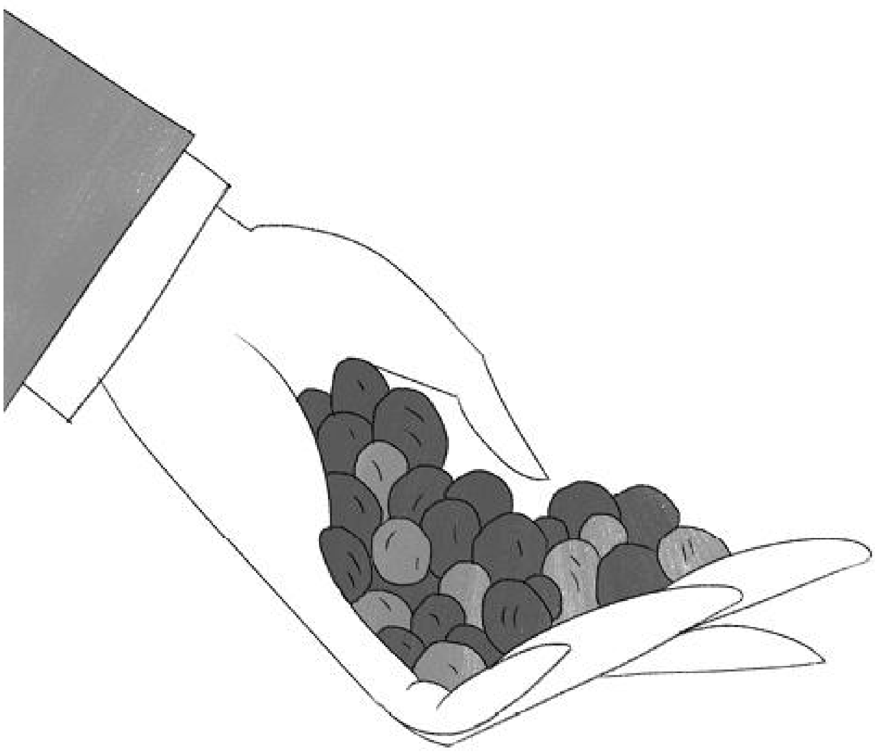
ارتكابه لجـريـمـة القتل، ورفضتُ أن أجيبك، وعدتَ حينها إلى مقر رجل الدين، وانتظرت بالخارج لبعض الوقت، وأخيرًا عدت إلى كوخك».

سأله المستكشف: «كيف تعرف هذا؟».

أجاب هولمز: «لقد اتبعتك».

- «أنا لم أرك».

ضحك هولمز قائلًا: «لم يكن من المفترض أن تراني، ثم قضيتَ ليلة وأنت في كوخك وضعت خلالها بعض الخطط التي بدأت تنفيذها مبكرًا منذ الصباح، وغادرت كوخك مع بزوغ الفجر، ومـلأت جيبك ببعض الحصى ذات اللون الأحمر المتراكمة إلى جوار بوابتك».



نظر الدكتور ستيرندايل إلى هولمز في ذهول.

تابع هولمز: «وبعدهـا مشيـت بسرعة، وقطعت مسـافة كيـلومتر ونصف الكيلو التي تفصل بين مسكنك ومسكن رجل الدين، وأنت ترتدي الحذاء ذا النعل المضلع الذي ترتديه الآن. وفي مسكن رجل الدين، تسللت عبر البستان والسياج الجانبي،

وخرجت من أسفل نافذة السيد تريجينيس، وكان ضوء النهار وقتها ساطعًا، لكن لم يكن أحد قد استيقظ في المنزل بعد. وهكذا، أخرجت بعض هذا الحصى من جيبك، وألقيته على النافذة».

قفز دكتور ستيرندايل واقفًا على قدميه وهو يصيح في حدة: «أعتقد أنك الشيطان نفسه! كيف عرفت كل هذا؟».

ابتسم هولمز، فقد سبق أن سمع أوصافًا أسوأ من قبل.

تابع هولمز: «وبعدما ألقيت حفنات قليلة من الحصى من جيبك، فاستيقظ السيد تريجينيس، وذهب إلى النافذة، وأشرت أنت إليه ليهبط إليك. فارتدى ملابسه على عجل، وسمح لك بالدخول عبر نافذة غرفة الجلوس، لأن الأبواب كانت لا تزال موصدة، والمفاتيح مع رجل الدين.



تكلمتما لبعض الوقت، قبل أن تضع السم في مصباح زيت السيد تريجينيس، ثم خرجت ثانية عبر النافذة، وأغلقتها خلفك. والمفاجئ أنك ظللت واقفًا على الأعشاب تدخن سيجارة بينما تشاهد السيد تريجينيس وهو يحتضر نتيجة احتراق السم. وأخيرًا عندما رأيت أنه قد مات، عدت من حيث أتيت.

والآن يا دكتور ستيرندايل ما السبب الذي دفعك لتصرفك هذا؟ وكن صادقًا معي».

كان وجه الدكتور ستيرندايل ممتقعًا بشدة، فرفع يديه وغطى بهما وجهه وبقي صامتًا لبعض الوقت، ومستغرقًا في التفكير، وبعدها وفي حركة مفاجئة أخرج صورة فوتوغرافية من جيبه، وألقاها على الطاولة أمامنا.

وقال: «هذه هي السبب».



الفصل التاسع

كانت الصورة الموضوعة على الطاولة لامرأة جميلة جدًّا.

انحنى هولمز ليتبين الصورة وقال: «إنها بريندا تريجينيس».

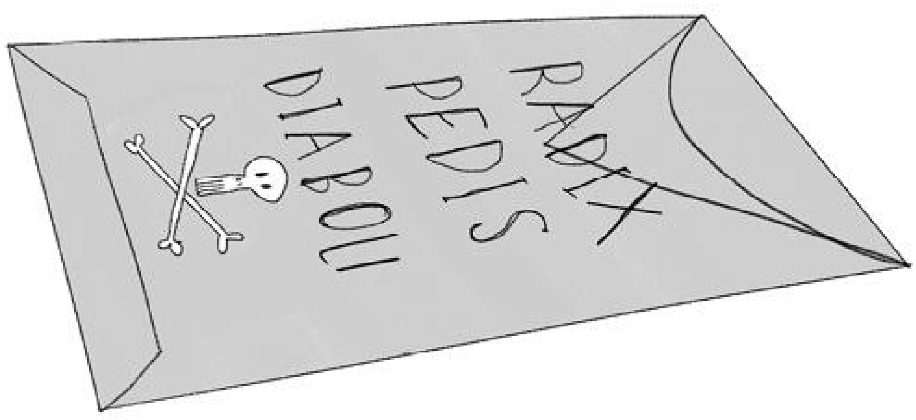
أجاب الدكتور ستيرندايل: «نعم هي بريندا تريجينيس، استمر حبنا لسنوات عديدة، ولم أستطع أن أتزوج بها لأن لديَّ زوجة بالفعل، زوجة هجرتني منذ زمن طويل، ومع هذا لم نستطع الحصول على الطلاق، وانتظرت أنا وبريندا طويلًا حتى نتزوج».

ثم أطلق الدكتور تنهيدة حارقة ارتج لها جسده الضخم، ووضع يده على حنجرته من تحت لحيته الطويلة، ثم سحب نفسًا عميقًا وتابع قائلًا:

«كان رجل الدين يعلم سرنا، ويمكنه أن يخبرك أن بريندا هي ألطف وأذكى امرأة على وجه الأرض؛ ولهذا السبب أرسل إليَّ البرقية التي أخبرني فيها بموتها المروع. وبالطبع عدتُ إلى هنا، فكيف يشغلني موضوع حقائبي أو إفريقيا بينما حبيبتي قد قُتلت، وعلى يد شقيقها؟!» حبس دكتور ستيرندايل الدموع التي أوشكت على أن تنهمر من عينيه، ثم قال: «ها قد عرفت السبب في تصرفي هذا يا سيد هولمز».

قال هولمز: «نعم، والآن أخبرني ببقية الحكاية».

وضع الدكتور ستيرندايل يده في جيبه، وأخرج مظروفًا ورقيًّا وضعه على الطاولة، مكتوبًا عليه من الخارج: جذر قدم الشيطان.



وتحت الكلام المكتوب كانت هناك رسمة لجمجمة حمراء، وعظمتين متقاطعتين، وبدا واضحًا من الرسم أنه سم شديد الخطورة.

دفع الدكتور ستيرندايل المظروف نحوي قائلًا: «أعرف أنك طبيب يا سيدي، هل سبق أن سمعت بهذا السم من قبل؟».

قلت بتأنٍّ وأنا أترجم اسمه المكتوب باللغة اللاتينية: «جذر قدم الشيطان! لا، لم أسمع به من قبل».

أجابني: «إجابتك ليست مفاجئة؛ حيث أعتقد أنه لا توجد سوى عينة واحدة فقط منه في أوروبا، وأخرى في المجر بخلاف هذه العينة، ولا يُعرف أنه دواء، ولم يصنف باعتباره سمًّا حتى الآن. إن الجذور على شكل القدم، نصفها قدم إنسان، ونصفها الآخر يُشبه قدم الماعز، وكان هذا سبب تسميتها بهذا الاسم. يستخدمه بعض المعالجين الذين التقيتهم في أسفاري، ويحتفظون به سرًّا من أسرار مهنتهم».



فتح الدكتور ستيرندايل المظروف أثناء كلامه معنا، وأخرج بعض المسحوق البني المائل للحمرة.

سأله هولمز رغم أنه يعرف الجواب: «تلك هي الكيفية التي سممت بها السيد تريجينيس؟».

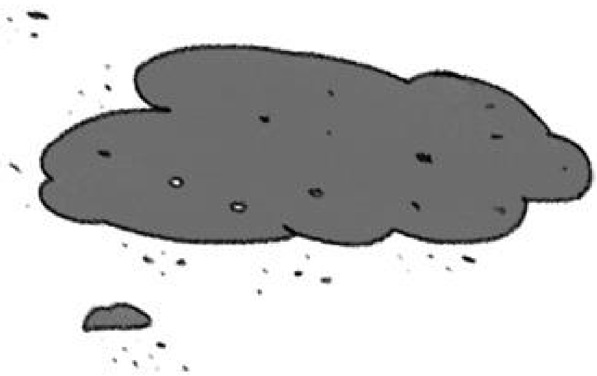
أجاب الدكتور ستيرندايل: «نعم، كنت أعلم الخلاف الأسري بسبب المال، وأعلم أن مورتيمر رجل ماكر محتال، فقد وقع حادث جعلني أتشكك في أمره.

ففي أحد الأيام، وهذا منذ أسبوعين فقط، جاء مورتيمر إليَّ في الكوخ، فأريته بعض الأغراض التي أحضرتها من إفريقيا، وكان من بينها هذا المسحوق. وأخبرته كيف يحفز جزءًا في الدماغ هو المتحكم في مشاعر الانفعال والخوف، وكيف أنه يؤدي إما إلى الجنون وإما إلى الموت، وأخبرته أنه لا أحد في إنجلترا يعلم بوجود مثل هذا المسحوق.

ولا شك أنه قد سرق بعضًا من مسحوق جذر قدم الشيطان هذا بينما كنتُ أفتح بعض الأدراج أو الخزانات، لأنني أذكر أنه طرح عليَّ أسئلة كثيرة حول الكمية اللازمة، والوقت المستغرق، ولم يخطر ببالي أنه كان يخطط لمكيدة الشر هذه.

وفي الحقيقة لم تشغلني مطلقًا أسئلة مورتيمر الغريبة إلا بعدما وصلتني البرقية في بلايموث من رجل الدين، فقد ظن مورتيمر أن سفينتي ستكون قد أبحرت بالفعل قبل أن يصل إليَّ الخبر، وبهذا سأظل جاهلًا بما جرى لسنوات طويلة، لكنني عدت على الفور لأواجهه.

عرفتُ من وصف رجل الدين أن هذا كان من تأثير السم، فذهبت إليك كي أرى ما إذا كان هناك حل آخر قد طرأ على ذهنك، وكنت آمل لو أنه لم يكن السم هو السبب، وأن الذنب يقع على شخص آخر، لكن لا. فقد تأكدت أن مورتيمر تريجينيس هو القاتل، وأنه استخدم جذر قدم الشيطان لتسميم أسرته حتى تذهب ممتلكاتهم وأموالهم إليه، فسلب شقيقيه عقليهما، وقتل شقيقته بريندا. كنت أعلم جريمته، لكن ماذا يجب أن يكون عقابه؟».



انتظرت أن يجيب السيد هولمز، لكنه لم يفعل، وكنا نعلم الجواب جيدًا، وهو أن الدكتور ستيرندايل قتل السيد تريجينيس.

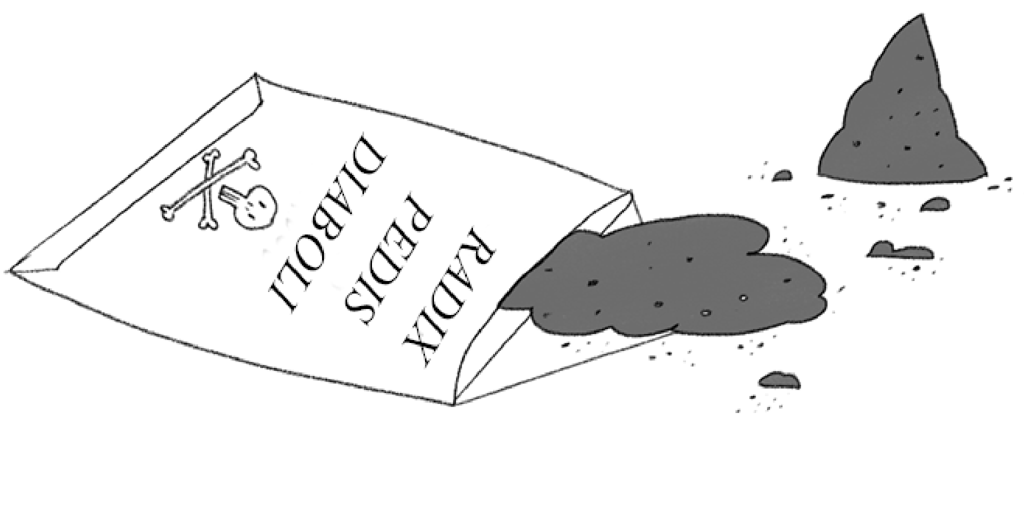
سأل الدكتور ستيرندايل: «هل كان ينبغي أن ألجأ إلى الشرطة؟ ربما، لكن ما دليلي؟ كنت أعلم أن الوقائع حقيقية، لكن ليس هناك هيئة قضائية قد تصدق مثل هذه القصة، في الوقت الذي لم يسبق لهم أن سمعوا حتى بمثل هذا السم.

كانت نفسي تعذبني طلبًا للانتقام، ولهذا قررت أن أجعل مورتيمر يلقى المصير نفسه الذي لاقته أسرته.

أنت تعلم بقية القصة يا سيد هولمز، فبعد قضائي ليلة صعبة، ذهبت منذ وقت مبكر إلى مسكن رجل الدين، وأنا أعلم أنه سيكون من العسير أن أوقظ مورتيمر دون أن يستيقظ بقية المنزل، ولهذا جمعت بعض الحصي من الممر، وألقيت بها على نافذة غرفة نومه.

استيقظ، وهبط بهدوء إلى الطابق السفلي، وسمح لي بالدخول عبر نافذة غرفة الجلوس، وحينها اتهمته بارتكاب الجريمة.

في اللحظة التي تفوهت بها باتهامي له، انهار مورتيمر على الكرسي، وبدأ يرتعد في خوف، وأخذ علم ما على وشك أن يحدث، وأخذ يتوسل إليَّ قائلًا: «أرجوك لا تفعل هذا، يمكنني أن أوضح لك السبب».



لم أكن بحاجة إلى سماع تبريراته؛ لهذا أشعلت مصباح الزيت، ووضعت مسحوق السم، بجوار الفتيل، ثم وقفت خارج النافذة. لم يحاول مورتيمر حتى أن يقاوم،

وفي خلال خمس دقائق كان قد مات.

تلك هي قصتي يا سيد هولمز، ويمكنك أن تفعل ما تشاء، فأنا لا أخشى الموت، وبالتأكيد لا أخاف من السم، لا أخاف من أي شيء الآن بعد أن رحلت حبيبتي بريندا».

الفصل العاشر

ظللنا صامتين أنا وهولمز لوهلة.

وأخيرًا سأل هولمز الدكتور ستيرندايل: «ماذا كانت خططك قبل أن يحدث ما حدث؟».

- «كنت أنوي العودة إلى إفريقيا، فإنني لم أنتهِ سوى من نصف عملي هناك».

قال هولمز: «عد إذن، وأكمل النصف الآخر، فلن أوقفك».

شهقتُ في اندهاش، هل سوف يتركه هولمز يمضي بحق؟!

نهض الدكتور ستيرندايل من فوق كرسيه، وانحنى بجسده الضخم أمامنا، ولم يقل شيئًا، بل انحنى فقط، وسار عائدًا إلى ممر الحديقة.



قال هولمز: «أعلم أنك قد صُدمت يا واطسون. إن ما فعله الدكتور ستيرندايل يخالف القانون، لكنني أشعر بالأسى تجاهه، إن الشرطة سوف تلقي القبض عليه إذا رأت أنه المجرم، لكن ليس دورنا أن نتدخل، ليس في هذه المرة».

أومأت برأسي ثم قلت له: «لكن يا هولمز، كيف…».

أكمل هولمز عبارتي قائلًا: «كيف عرفت أنه دكتور ستيرندايل؟ الأمر كان بسيطًا في الحقيقة، في البداية لم أعرف نوعية السم، وأنت تعلم يا واطسون مدى سعة معرفتي بأنواع السموم؛ لهذا علمت أنه حتمًا سم من مكان بعيد، سم أحضره شخص قضى فترة زمنية طويلة خارج إنجلترا.

وجمعت الخيوط في رأسي، وكنت بحاجة فقط إلى خيط واحد أخير يدلني لكي أكون على ثقة بالحل؛ ووجدته. الحصى الذي رأيته عند عتبة نافذة السيد تريجينيس لم يكن يشبه الحصى الموجود في حديقة مسكن رجل الدين، وإن المكان الوحيد الذي رأيت فيه هذا النوع من الحصى هو خارج منزل الدكتور ستيرندايل مباشرة، وكنت أشك فيه منذ البداية، وكنت محقًّا في شكي».

ثم قال هولمز وهو يقف ويتمطى: «لكن الآن يا عزيزي واطسون، أعتقد أنه يسعنا أن ننسى كل شيء عن القضية، ونستكمل إجازتنا، فعلى كل حال، أنا بحاجة ماسة إلى الإجازة».



شيرلوك هولمز

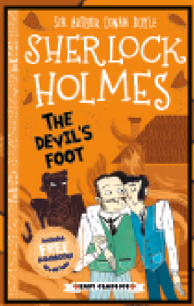
قام المحقق الخاص المشهور عالميًا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل ***Early English Charters***و ***The Influence of a Trade Upon the Form of a Hand***. ويربي النحل في أوقات فراغه.

دكتور جون واطسون

جُرح دكتور جون واطسون في مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًّا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته. يدير دكتور واطسون عيادة طبيب أيضًا.

لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني
www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي



عليك أن تكتب عن قضية قدم الشيطان، فأنا واثق بأن قرائك سيرغبون في القراءة عن اليوم الذي كدنا فيه نموت.

هولمز.

كان كل ما يرجوه واطسون هو أن يقضي إجازة لطيفة وهادئة بصحبة صديقه هولمز، لكن هذا لم يحدث. فعندما عثر على بريندا تريجنس ميتة على مائدة العشاء دون أي دليل يفسر كيف قُتلت أو لماذا، اتجهت الأنظار جميعها إلى المحقق لكي يصل إلى حل اللغز. وفي ظل وجود تجارب خطيرة وسم قاتل ومستكشف مثير للريبة، لم يعد هناك وقت للاسترخاء!

مكتبة جرير JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

ISBN 628-1072-14-381-7
6 281072 143817
282208952